بسم الله الرحمن الرحيم

المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية

دبي 2014م

جامعة الزاوية ـ ليبيا

كلية الآداب ـ صبراتة

عنوان البحث

البعد النفسي والاجتماعي والاقتصادي لغير الناطقين بالعربية

إعداد الدكتور محمد الطاهر المحمودي

أستاذ علم النفس المشارك

مقدمة

كما هو معلوم بأن اللغة بشكل عام هي عبارة عن وسيلة من وسائل الاتصال والتواصل والتفاهم بين إنسان وأخر،وبين مجموعة وأخرى ، بل وبين المجتمعات والشعوب بكافة.

لذلك فإن اللغة تمثل قيمة كبيرة في حياة الأفراد والجماعات من حيث أنها تفتح نافذة وقناة لتوصيل أي فكرة أو رسالة للطرف الأخر في مختلف نواحي الحياة اليومية،وبقدر ما تكون واضحة ومفهومة ومتعارف عليها بين الطرفين يكون استيعاب الرسالة وفهم المضمون والمحتوى بشكل أسرع وأوضح ، ويوفر الوقت والجهد ، وأحيانا المال،الأمر الذي يتيح فرصة التواصل والاستجابة للطرف الأخر بشكل أدق وأسرع كذلك .

أما إذا ما كانت العملية على العكس من ذلك فإن فرصة التواصل وإيصال المعلومات والمعاني والأفكار والرسائل قد يشوبها نوع من الصعوبة ؛ نظرا لعدم وضوح واستيعاب معانيها ورموزها ومحتواها . وهنا قد يحدث سوء الفهم أحيانا ،وعدم القدرة على استيعاب الخطاب والتفاعل معه بشكل أوضح وأفضل أحيانا أخرى .

وفي هذا الإطار ،وبخاصة لغير الناطقين باللغة العربية ،فإن جملة من الظروف والمشكلات قد تواجههم ولوفي بداية التعاطي مع اللغة العربية إلى حين التمكن منها ولو بنسبة .

لذلك فإن الباحث سوف يقف عند بعض من هذه الظروف والأبعاد ذات العلاقة باللغة العربية من ناحية ، ولغير الناطقين بها من ناحية أخرى .

أولا ـ اللغة :

1 – تعريف اللغة:

لقد تناول العديد من المختصين والمهتمين بهذا المجال مسألة تعريف اللغة ومعناها على اختلاف تخصصاتهم ومشاربهم ، حيث ورد في (المعجم الوسيط) لفظ " اللغة " بمعنى أنها : ((أصوات يعبر بها قوم عن أغراضهم)) (1) . كما عرُفت اللغة على أنها : ((وسيلة صوتية يستخدمها الإنسان للتعبير عما لديه من أحاسيس وأفكار ، وهذه الوسيلة تمكنه من التفاهم مع الآخرين)) (2).

أما أرسطو ، فيرى اللغة بأنها : ((الأصوات التي نستخدمها في نقل المعاني من شخص إلى أخر ، كما يحدد الكلام على أنه نتاج صوتي مصحوب بعمل الخيال من أجل أن يكون التعبير صوتا له معنى)) (3).

وتناول حامد زهران اللغة على أنها :((مجموعة من الرموز تمثل المعاني المختلفة ،وهى مهارة اختص بها الإنسان . واللغة نوعان :لفظية وغير لفظية ،وهى وسيلة الاتصال الاجتماعي والعقلي ، وهى إحدى وسائل النمو العقلي والتنشئة الاجتماعية والتوافق الانفعالي ،وهى مظهر قوي من مظاهر النمو العقلي والحسي والحركي ، ونحن نسمعها منطوقة ونقرؤها مكتوبة ونفهم لغة الإشارات .وتحتل اللغة قلب التفاعل الاجتماعي ،ويعتبر تحصيل اللغة أكبر إنجاز في إطار النمو العقلي للطفل ...)) (4) .

كما أن اللغة هي عبارة عن : ((صوت ينتج عن دفع الهواء من الرئتين إلى أعلى عن طريق الصوت ثم أجهزت الفم ...لفظ يصدره المتحدث له معنى لدى السامع ...واللغة واقع اللفظ الذي يصدره المتحدث بأسلوبه الخاص في ظروف معينة يفهمه السامع)) (5) .

مما تقدم ، يتضح أن اللغة بشكل عام هي عبارة عن مجموعة أصوات ورموز لها معانيها ومدلولاتها المتعارف عليها بين الأفراد لنقل المعاني من شخص إلى شخص أخر ، أو من مجموعة لأخرى ، ولتوضيح المشاعر والأحاسيس والأفكار ، وهى في الوقت نفسه تعتبر مهارة اختص بها الإنسان ، وتعتبر وسيلة من وسائل النمو العقلي والتنشئة الاجتماعية والتوافق الانفعالي .

2- غير الناطقين بالعربية :

إن غير الناطقين باللغة العربية (الأعاجم) ،هم أولئك الذين لا تعتبر اللغة العربية لغتهم الأم ، ولكن أرادوا أن يتعلموا اللغة العربية ويستفيدوا منها ، ويستخدمونها في شتى مجالات الحياة اليومية ، وذلك من خلال إتباع منهج علمي يقوم بالإشراف عليه وتقديمه لغير الناطقين بالعربية من قبل أهل الاختصاص في مجال اللغة العربية .

وفي هذا الجانب ،فإن اللغة الأم يمكن صياغتها بأنها اللغة التي يتعلمها الأفراد من الممارسات والحياة اليومية داخل نطاق الأسرة ، سواء أكان ذلك من خلال الوالدين ،أم الأخوة ،وكذلك المحيط الاجتماعي الذي يعيشون فيه .

أما عن اللغة الأجنبية ،فهي اللغة واللسان الثاني الذي يتعلمه الفرد ، ولا علاقة لها باللغة الأم ، وهي التي تكون من خارج بيئته الاعتيادية ويتم تعلمها في ظروف ومراحل خاصة ، وبالتالي يصبح تعاطيها ضمن برامج وبيئة تعليمية خاصة .

ثانيا ـ خصائص اللغة العربية :

تعتبر اللغة من السمات والخصائص التي اختص بها الإنسان دون سائر المخلوقات الأخرى . ولذلك فإن الإنسان هو الوحيد الذي يعتبر قادرا على استيعاب واستخدام اللغة المكتوبة منها والمنطوقة ليتم من خلالها تحقيق الاتصال والتواصل بين أبناء الجنس البشري على اختلاف بيئاتهم .

وإذا كانت اللغة موضوع تخصصي يعنى بها دارسيها على اختلاف فروعها كالنحو والشعر والأدب والبلاغة فهي أصبحت موضوع دراسة وتفحص وبحث من طرف علماء النفس وعلماء الاجتماع والأنثروبولوجيا ،والفلاسفة وغيرهم.

ولذلك فقد نتج عن علاقات التأثير والتأثر المتبادلة اتجاهات وتيارات فكرية وعلمية حديثة كعلم الاجتماع اللغوي، وعلم النفس اللغوي (6) .

إن اللغة العربية كسائر اللغات العالمية الأخرى المعترف بها رسميا في منظمة الأمم المتحدة والهيئات الدولية الأخرى ،لها شأنها وقيمتها العالمية ، وهى اللغة التي تختص بعدة صفات وإيجابيات ومرونة جعلتها تتبوأ مكانة عالمية بين لغات العالم.

إن اللغة العربية إذا ما قورنت باللغات الأخرى نجدها تمتاز بعدة مزايا وخصائص ،وذلك حتى على المستوى الخاص بمسألة أبجديتها ،فعلى سبيل المثال تتشكل أبجدية اللغة العربية من (28) حرفا ، بينما نجد أبجدية اللغة الإنجليزية تتشكل من (26) حرفا ، ناهيك عن الشرف الذي حضيت به وهو نزول القرآن الكريم بلسان عربي ،فأي شرف أشرف من هذا الشرف؟ ، حيث قال جل جلاله :{ إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون } (7) ،وقوله تعالى :{إنه لتنزيل رب

العالمين،نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين } (8) ، وهى لغة أهل الجنة إن شاء الله .

يضاف إلى ما ذكر من صفات وسمات عظيمة جعلتها متميزة عن غيرها من اللغات العالمية، وكذلك قيمتها الرفيعة من خلال التراث والفكر والتاريخ العربي والإسلامي ، فإنه يمكن تناول بعض الخصائص على سبيل المثال لا الحصر ،وذلك كما أشار (محمد حسن حبل)، وهى كالأتي :

1- أنها أوسع اللغات .

2- أن لفظها أدل .

3- أقسام تأليف كلامها أكثر .

4- الأمثال التي ضربت فيها أجود وأيسر .

5- الارتجال والاقتضاب خاص فيها .

6- وأن البديع مقصور على العرب ،ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة .

7- وأنها تمتاز بجمال البيان .

8- زيادة حروف المباني في العربية عنها في غيرها ، والإعراب ، والشعر ، والعروض ، وتغير بعض حروف الكلمة بقدر ما تغير من مدلولها .

9- الترادف ...(9) .

إذن من خلال ما تم عرضه من خصائص للغة العربية ،يرى الباحث ـ ولا يدعى الإلمام والإحاطة بكل مكوناتها ـ أنها كفيلة لإبراز قيمة وأهمية وتميز ،وربما تفرد اللغة العربية بهذه الصفات والخصائص التي جعلتها محل إعجاب من طرف الناطقين بها أو غير الناطقين .

ثالثا ـ البعد النفسي لغير الناطقين بالعربية :

سيتناول الباحث في هذا الجانب التوافق النفسي بشي من التوضيح ، وذلك كما سيلي :

قبل البدء في الحديث عن هذا البعد ، يمكن طرح تساؤل مفاده ،ما المقصود بالتوافق النفسي ؟

وللإجابة عن هذا التساؤل يمكن تقديم بعض التعريفات التي تخص هذا المصطلح (التوافق النفسي) :

يعرِّف (أديب الخالدي) التوافق النفسي بأنه : ((مجموعة من الاستجابات المختلفة التي تدل على تمتع الفرد ، وشعوره بالأمن الشخصي ،كما يتمثل في اعتماده على نفسه ، وإحساسه بقيمته ، وشعوره بالحرية في توجيه السلوك دون سيطرة الغير ، والشعور بالانتماء ، والتحرر من الميل إلى الإنفراد ، والخلو من الأعراض العصابية ، وكذلك شعوره بذاته ، أو برضاه عن نفسه ، وخلوه من علامات الانحراف النفسي)) (10) .

ويرى (حسين عبد الحميد) بأن التوافق النفسي أو الشخصي يشير إلى:((التوازن بين الوظائف المختلفة للشخصية ،مما يترتب عليه أن تقوم الأجهزة النفسية بوظائفها بدون صراعات شديدة وتحقق السعادة في النفس وإشباع الدوافع والحاجات الأولية (الفطرية والعضوية والفسيولوجية) والحاجات الثانوية المكتسبة ، ويعبر عن سلام داخلي ، حيث لا صراع داخلي ،وهو ما يحقق الأمن النفسي)) (11) .

ويعرفه (نبيل سفيان) بأنه : ((إشباع الفرد لحاجاته النفسية وفهمه لذاته فهما واقعيا وتقبله لذاته واحترامها ، وثقته بنفسه وتحمله المسؤولية ، وقدرته على اتخاذ قراراته ، وحل مشكلاته ، وتحقيق أهدافه)) (12) .

يتضح من التعريفات السالفة الذكر بأن التوافق النفسي هو ثمرة المحاولات والتصرفات الذاتية التي تصدر عن الفرد ،ويقوم بها من أجل الوصول إلى الرضا عن النفس وتقبل الشخصية ، وذلك في حدود الإمكانات والقدرات المتوافرة لديه .

إذن من خلال ما تقدم يمكن لنا العودة إلى بيت القصيد ، وهو البعد النفسي لدى غير الناطقين باللغة العربية ، ومدى تأثير هذا الجانب على التقبل والاستعداد ، وبالتالي استيعاب هذه اللغة ـ التي تعتبر لغة ثانية ـ ويكون مقبل على تعلمها وفهمها ، وبالتالي التواصل مع الناطقين بها .

فكلما كان ذلك الأجنبي متوازنا نفسيا ، ومنسجما مع محيطه الاجتماعي ، وبعيد عن التوتر والقلق ، ويتسم سلوكه بالسواء ، كلما زادت قدراته وإيجابياته ،

وتحسنت علاقاته وتواصله وديناميكيته في تقبل اللغة الثانية (اللغة العربية)، بل وحسن فهمها والتعمق فيها بشكل ترضى عليه نفسه ، ومحل إعجاب وتشجيع من قبل الآخرين .

رابعا- البعد الاجتماعي لغير الناطقين بالعربية :

إن البعد الاجتماعي لا يقل أهمية عن البعد النفسي ، حيث الجانب النفسي حيث يعتبر الجانب النفسي يخص علاقة الفرد مع ذاته ، ومدى توافقه معها ، أما البعد الاجتماعي يختص بعلاقة الفرد بالجماعة ، أي بالمحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه .

وفي هذا الجانب سيتناول الباحث التوافق الاجتماعي بشي من التوضيح :

إذن يطرح التساؤل من جديد ، ولكن هذه المرة ، ما المقصود بالتوافق الاجتماعي ؟

يمكن توضيح معنى التوافق الاجتماعي من خلال تقديم بعض التعريفات ذات العلاقة وذلك كما يلي :

يعني التوافق الاجتماعي بأنه ((يتضمن الذكاء الاجتماعي ، والسعادة مع الآخرين،الاتزان الاجتماعي ،والالتزام بأخلاقيات المجتمع ، ومسايرة المعايير الاجتماعية وقواعد الضبط والتغير الاجتماعي ، والأساليب الثقافية السائدة في المجتمع ، والتفاعل الاجتماعي السليم ، والعلاقات الناجحة مع الآخرين ، وتقبل نقدهم وسهولة الاختلاط معهم ، والسلوك العادي مع أفراد الجنس الأخر ، والمشاركة في النشاط الاجتماعي مما يؤدي إلى تحقيق الصحة الاجتماعية)) (13) .

كما يُعرِّف التوافق الاجتماعي على أنه : ((مجموعة من الاستجابات المختلفة التي تقوم على أساس شعور الفرد بالأمن الاجتماعي ، والتي تعبر عن علاقات الفرد مع الآخرين ، كما يتمثل في معرفة الفرد للمهارات الاجتماعية المختلفة ، والتحرر من الميول المضادة للمجتمع ، والعلاقات الأسرية الطيبة والعلاقات في محيط البيئة المحلية ، وعلاقات بالمدرسة ،وإتباعه للمستويات الاجتماعية واكتسابه لها)) (14) .

ويُعرَّف "باركر" (Barker) التوافق الاجتماعي على أنه : ((مجموعة المناشط أو السلوكيات التي يبذلها الفرد حتى يشبع حاجاته أو يتخطى العوائق

ليتوافق مع البيئة المحيطة به ، كما يبين أن التوافق الناجح ما هو إلا نتاج تكيف متزن مع بيئة الفرد الداخلية والخارجية مما يشبع حاجاته ويحقق أهدافه ، كما أن أنواع العوائق قد تكون نفسية أو اجتماعية أو جسمية أو مادية ، وفي حالة تعرضه لعدم تحقيق أهدافه يصاب بالإحباط والفشل والصراع والمرض النفسي)) (15) .

يتضح من خلال ما تم عرضه من تعريف للتوافق الاجتماعي بأنه يعني ويوضح مدى قدرة الفرد على التعاون والتواصل والتعامل الإيجابي مع أقرانه ، وإقامة علاقات طيبة وودية معهم ، وأن تكون لديه القدرات والطرائق المختلفة التي من خلالها يمكن أن يشبع بها حاجاته ، ويحسن التعامل مع غيره من المحيطين به سواء في العملية التعليمية أو الاجتماعية .

وفي هذا الإطار فإن التوافق الاجتماعي الايجابي ينعكس على الدارس وبخاصة غير الناطقين بالعربية بشكل أكثر إيجابية ، ويسهل عليه عملية التواصل مع الآخرين ،وبخاصة على مقعد العلم والمعرفة والدراسة للغة العربية .

أما إذا كان الوضع على العكس من ذلك (عدم التوافق الاجتماعي) فإن الدارس للغة الثانية (اللغة العربية) بالنسبة لغير الناطقين بها ، فقد ينعكس الأمر سلبيا ، وربما يؤثر حتى على عملية التحصيل والاستيعاب لها ، وبالتالي تكون قدرته على التواصل مع أهل اللغة كمعلمين ودارسين ، أو من خلال حياته اليومية في المحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه قد تكون عرجاء ، أو محدودة أحيانا ، أو محفوفة بنوع من الصعوبة أحيانا أخرى .

خامسا ـ البعد الاقتصادي لغير الناطقين بالعربية :

مما لا شك فيه أن الجانب الاقتصادي يلعب دورا كبيرا في حياة الأفراد والمجتمعات على حد سواء ؛ وذلك لما يوفره من إمكانات وقدرات تجعل الإنسان قادرا على التحرك في اتجاهات عدة ، وأن يوفر لنفسه وأسرته متطلبات العيش الكريم قدر الإمكان .

وقد شهد العالم حديثا إقبالا متزايدا على تعلم اللغة العربية ، وذلك قد يرجع إلى جملة من الاعتبارات مثل السياسية والدينية والعسكرية والاقتصادية وغيرها..هذا بشكل عام، أما بشكل أدق وأخص وعلى المستوى الفردي فإن رغبة غير الناطق بالعربية في الالتحاق بالمئات والآلاف، أو ربما أكثر من ذلك بكثير إلا تعبير واضح على قناعته بمزايا وإيجابيات هذه اللغة (اللغة العربية) والمكاسب

التي سوف يجنيها من تعلمه لها ،وذلك من خلال توظيف تمكنه وإجادته لهذه اللغة في عملية الولوج في بعض الوظائف التي تحتاج إلى من يجيد اللغة العربية من الأعاجم ، سواء أكان ذلك على مستوى الوظائف مثل الدبلوماسية أو العسكرية أو الشركات والوكالات الاقتصادية والسياحية في مراكزها وفروعها داخل الوطن أو خارجه .

كذلك ما يجنيه من فوائد من خلال الإطلاع على ثقافة وأدب وفكر الناطقين بها ف] مختلف المجالات العلمية والأدبية ، وكذلك الدينية وما يتسم به الدين الإسلامي من سماحة وتسامح واحترام لآدمية الإنسان أينما كان وحيثما وجد بغض النظر عن قوميته وجنسه ولونه ودينه ولغته ، وغير ذلك من الأمور التي تتعلق بحياة الإنسان وغيره من المخلوقات الأخرى .

الخاتمة

إن البعد النفسي والاجتماعي والاقتصادي لا يقل أحدهم أهمية عن الأخر ، فكلما كان ذلك المتلقي والمتعلم للغة العربية يتمتع بشخصية متوازنة ، ونفسية سوية وسلوك سوي ، وكلما كان منسجما ومتوافقا اجتماعيا مع المحيط الذي يعيش فيه ، وقادرا على تكوين علاقات اجتماعية حسنة مع أقرانه ومعلميه والبيئة التي يعيش فيها ، كلما كان قادرا على استيعاب اللغة الثانية (اللغة العربية) ، وبالتالي تتسم شخصيته وعلاقاته بالطبيعية ولا يعاني من بعض التوترات النفسية ، وسوء التواصل مع الآخرين . وكلما كان قادرا على استيعاب اللغة ، كلما كان قادرا على مد يد الصداقة وبناء علاقات جيدة مع الآخرين ، وربما تفتح له أبوابا مهنية ووظيفية متعددة ، والتي بدورها تنعكس عليه اقتصاديا بشكل إيجابي ومثمر ، وتنفتح له أُفاق أوسع وأرحب .

وأخيرا لا يسع الباحث إلا أن يقدم بعض التوصيات التي قد يستفاد منها من خلال ما يراه في إطار هذا البحث.

التوصيات :

1- يجب أن تكون مناهج اللغة الثانية تهدف إلى تنمية العادات الاجتماعية التي تساعد المتعلم على تجاوز الحاجز النفسي نحو المجتمع .

2 ـ الاهتمام بحاجات المتعلم النفسية والاجتماعية ، والعمل على إشباعها قدر الإمكان من اجل مساعدته على اكتساب اللغة وثقافة أهلها السائدة .

3 ـ حث المتعلم على اندماجه وزيادة تواصله مع مجتمع اللغة الثانية .

4 ـالتنويع في الأنشطة الترفيهية التي تبعد الشعور بالملل والرتابة عن المتعلم ، والتي تساعد في عملية الاندماج مع المحيط الأكاديمي والاجتماعي .

5 ـ عقد ورش عمل لمعلمي اللغة العربية تهدف إلى تدريبهم في مجال تطوير مهارات الاتصال والتفاعل الوجداني والاجتماعي داخل المؤسسات الأكاديمية .

6 ـ إجراء دراسات خاصة على غير الناطقين بالعربية لكشف نقاط القوة في البرنامج التعليمي ودعمها ، والبحث عن مواطن الضعف ـ إن وجدت ـ ومحاولة التخلص منها .

والله ولي التوفيق

هوامش البحث ومراجعه

1 ـ المعجم الوسيط ، (الطبعة الخامسة) ،القاهرة ، مكتبة الشروق الدولية ، 1432 ـ يناير 2011م ، باب (اللام) ، ص 863.

2 ـ عبد الله سويد، ومصطفى عبد الله ، علم اللغة ،طرابلس ـ ليبيا ، دار المدينة القديمة للكتاب ، ص 7 .

3 ـ جمعه سيد يوسف ، سيكولوجية اللغة والمرض العقلي ، الإسكندرية ، عالم المعرفة ، 1990 م ، ص 14 .

4 ـ حامد عبد السلام زهران ، علم نفس النمو ـ الطفولة والمراهقة ، (الطبعة السادسة) ، القاهرة ، عالم الكتب ، 1425 ـ 2005 م ، ص181- 185 .

5 ـ سالم مسعود ،علم اللغة ، بنغازي ، دار الكتب الوطنية ، 1995 م ، ص 9 .

6 ـ جمعه سيد يوسف ، سيكولوجية اللغة والمرض العقلي ، مرجع سابق ، ص 9 .

7 ـ سورة يوسف ، الآية (2) .

8 ـ سورة الشعراء ، الآيات (192 ـ 195) .

9 ـ محمد حسن حسن حبل ، خصائص اللغة العربية ـ تفصيل وتحقيق ، القاهرة ،دار الفكر العربي ، 1987 م ، ص 19 ـ 20 .

10 ـ أديب الخالدي ، المرجع في الصحة النفسية ، (الطبعة الثانية) ،غريان ، الدار العربية للنشر والتوزيع والإعلان ، 2002م ، ص 92 .

11 ـ أشرف محمد عبد الغني ، المدخل إلى الصحة النفسية ، الإسكندرية ،المكتب الجامعي الحديث ، 2001م ، ص 124 .

12 ـ نبيل سفيان ، المختصر في الشخصية والإرشاد النفسي ، إبتراك ، 2004 م ، ص 124 .

13 ـ إجلال محمد سري ، علم النفس العلاجي ، القاهرة ، عالم الكتب . 2000 م ، ص 36 .

14 ـ أديب الخالدي ، المرجع في الصحة النفسية ، مرجع سابق ، ص 92 .

15 ـ مجلة القادسية لعلوم التربية الرياضية ، المجلد (11) ، العدد (3) ، كانون الأول 2011 م ، ص 182 .